عدمية الفناء في الخزف المعاصر

The Timelessness of Contemporary Ceramics

م.د.احمد عودة نايف

Dr.ahmed auda

معهد الفنون الجميلة

Institute of Fine Arts

Xahmed_12@yahoo.com

م.م.عامر طاهر محمد

Amer Taher

Amer.taher1278@gmail.com

معهد الفنون الجميلة

Institute of Fine Arts

الكلمات المفتاحية (الحتمية ، العدمية ،الفناء الخلود ، المعاصرة ، الموت ، التشكيل)

ملخص البحث

تناول هذا البحث موضوع الدراسة في عدمية الفناء في الخزف المعاصر ، وجاءت الدراسة الحالية من ثلاث فصول ، تمثلت بالملخص المنهجي ، الذي أفصح عن الإطار العام للبحث والمتضمن بمشكلة البحث والتي لخصت الفترات الزمنية لبدايات فكرة الموت والفناء عند الفرد عند رسومات الكهف وصولا إلى الفترة المعاصرة والتي أفرزت مشكلة البحث هل يشكل مفهوم عدمية الفناء متغير فكري في النص البصري عندما ينحرف فيه الشكل عن أدائه الواقعي لتتجسد في الخزف العراقي المعاصر ، والتي مثلت طريق للإجابة عن التساؤل الذي طرحه الباحث ، فكانت أهمية البحث في

صورتها والتي تمثل إضافة معرفية للدراسات الفنية والجمالية ، ومن ثم هدف البحث إلى الكشف عن عدمية الفناء والتي تعد واقعة متحقق للموت والية اشتغالها في الخزف المعاصر وما قدمته فكرة العدمية في الفن المعاصر وحتمية الفناء كصورة من صور التغيير الشكلي في الخزف المعاصر

Keywords: (inevitability, nihilism, mortality, immortality, contemporaneity, death, formation)

Abstract

Research Summary This research addresses the topic of the nihilism of mortality in contemporary ceramics. The current study consists of three chapters. The first chapter is the methodological summary, which reveals the general framework of the research and includes the research problem. It summarizes the time periods from the beginnings of the idea of death and mortality among individuals in cave paintings, up to the contemporary period. This period produced the research problem: Does the concept of nihilism constitute an intellectual variable in visual texts when the form deviates from its realistic performance to be embodied in contemporary Iraqi ceramics? This period represented a way to answer the questions posed by the researcher. The importance of the research lies in its form, which represents a cognitive addition to artistic and aesthetic studies. The research therefore aimed to reveal the nihilism of mortality, which is a realized reality of death, and the mechanism of its operation in contemporary ceramics. It also aimed to reveal the

idea of nihilism in contemporary art, and the inevitability of mortality as a form of formal change in contemporary ceramics.

الفصل الأول

مشكلة البحث

ارتبطت فكرة الفناء أو الموت مع الفن منذ بداية نشوء الحضارات ، إذ مثلت اشتغالات الفن الأداة الأهم واسماها في الوجود فهي جوهر كينونة الإنسان في ماضيه وحاضره ، وهي تمثل نقيض متعالق لفكره الموت ، ولان الموت حتميته وغيبيته وحقيقته المطلقة.

لذلك فان فكره الموت رافقت الإنسان منذ رسومات البدائية في عصر الكهوف حيث عاش الإنسان تحت سطوة الموت والقلق الوجودي الذي رافقه منذ بداية الصراع الذي مثل ضاغطا على حياة الإنسان ، ولان فكرة الموت تحمل في طياتها مسحة من الخوف والألم والانسحاق والفناء وما يضفي من حتمية أو واقعة متحققة ، فانه الموت حاله من الصراع الداخلي في الإنسان الذي يبتغي دائماً ان يغادر هذا القلق ويحيله هذه الإشكالات المتواجدة في الفكر الاجتماعي على شكل منظومات شكلية ،والتي حاول الإنسان ان يستدرك بمخيلته تلك الموضوعات لكشف النقاب عن الصراع والتعبير عن ما يدور فيه من صور دراماتيكية تحقق دفقه أو ديمومة حياة للهروب من الواقع المؤلم المزدري . فضلاً الأساليب الفنية وتجسيدها لفكرة الموت بشتى الطرق والأساليب المتنوعة المستخدمة في الفنون ولاسيما التشكيل والخزف منه بوجه خاص ، وعليه فان مصطلح الموت شكل علامة مهمة من علامات التأويل التي تكون خطاباً تأويلياً منفتح القراءات .

وإزاء ذلك نجد ان فترة الحداثة وما بعدها مثلت حراكاً كبيراَ في تغيير تلك المفاهيم وتقديمها كمنجزات فنية تشكيلية حاضرة في دائرة التلقي والاستهلاك الجمالي، فضلا عن تجسيد فكرة الموت بمتغيرات فكرية وتخضع إلى جملة من التأويلات التي كان لها تأثير مباشراً في ظهور المنجزات التشكيلية ومنها الخزف برؤية تختلف عن فكرة الموت التقليدية السائدة .**ومن هنا تنبري لنا مشكلة البحث :- هل يشكل مفهوم عدمية الفناء**

متغير فكري في النص البصري عندما ينحرف فيه الشكل عن أدائه الواقعي ليتجسد في الخزف العراقي المعاصر

أهمية البحث :

ان البحث في عدمية الفناء كظاهرة متحركة في الخزف المعاصر ، يمثل إضافة معرفية للدراسات الفنية والجمالية ، كما يمثل البحث انفتاحاً على أهم المرجعيات المتشكلة للحركة التشكيلية في الخزف المعاصر ، فضلا عن خصوصية البحث الأكاديمي.

هدف البحث : يهدف البحث الى(التعرف على عدمية الفناء والتي تعد واقعة متحقق للموت والية اشتغالها في الخزف المعاصر)

حدود البحث :

1- **الحد الموضوعي :** يمثل الحد الموضوعي الاشتغالات الفلسفية والفنية التي اعتمدها الإطار النظري

2- **الحد الزماني :** 2010-2025

3- **المكاني :** العالم

تحديد المصطلحات

العدمية لغوياً

أصلها الكلمة اللاتينية nihil ومعناها العدم .والعدمية حركة فكرية ظهرت في روسيا في القرن التاسع عشر ونبذ أتباعها كل شيء في المجتمع من قيم وتقاليد ومؤسسات. فكانوا يطمحون إلى القضاء على كل المؤسسات الاجتماعية من أجل بناء مجتمع جديد تكون فيه حرية الفرد حرية مطلقة. ولقد قورنت هذه الحركة بحركة البيتنيك التي ظهرت في الخمسينيات بأمريكا. (مصطلحات سياسية)

(عَدُمَ) :فعل(عَدِمَ، يَعْدُمُ ، مصدر عَدامَةٌ

(عَدُمَ الرَّجُلُ : كَانَ عَدِيماً، أَيْ أَحْمَقَ

(عَدِمَ) :فعل(عَدِمَ عَدَمًا، وعُدْمًا فهو عادِمٌ، وعَدِمٌ، والمفعول : مَعْدُومٌ، وعدِيمٌ

عدِم الشَّخصَ /عدِم الشَّيءَ :فقده ولم يجدْه، خسِره وافتقر إليه

ما يَعْدَمُني هذا الأمْرُ: ما يَعدُوني (معجم المعاني ، باب العين)

العدمية اصطلاحاً

نظرية تقرر انه ليس يوجد شيء على الإطلاق ، نادى بها غورغياس ودلل على ذلك ، لا يوجد شيء، إذا كان هنالك شيء فالإنسان قاصر عن إدراكه ، وإذا أدركه فلن يستطيع ان يبلغه لغيره من الناس .(مراد وهبة ،1998،ص448)

العدمية إجرائياً

العدمية واقعة متحققة ، وهي بالمعنى الفلسفي تؤدي به إلى الموت ، أي انعدام المعنى ، والعدمية بالمعنى النيتشوي ، هي انعدام المعنى أو الهدف في الحياة

الفناء لغوياً

لْفَنَاءُ: نَقِيضُ الْبَقَاءِ وَالْفِعْلُ فَنَى يَفْنَى نَادِرٌ, عَنْ كُرَاعٍ ، فَنَاءً فَهُوَ فَانٍ .(لسان العرب ، ابن منظور ، 165)

1. **فَنَاء)** :اسم(**فَنَاء** :مصدر فَنيَ
2. **فَنّاء)** :اسم(شَجَرَةٌ **فَنَّاءٌ** :كَثِيرَةُ الأَفْنَانِ، أَيِ الأَغْصَانِ
3. **فَناء)** :اسم(مصدر فَنِيَ **فَنَاءُ** الإِنْسَانِ : زَوَالُهُ، هَلاَكُهُ

دار الفناء: الدنيا

(الفلسفة والتصوُّف) ذهاب الحس والوعي وانعدام الشعور بالنفس وبالعالم الخارجيّ، وانمحاء العبد في جلال الربِّ (حسب اعتقاد الصُّوفيّة) (معجم المعاني ، باب الفاء)

الفناء اصطلاحاً

تلاشي الوجود قال ابن سينا ، فيكون حدوثها (مادة الأفلاك ، على سبيل الفساد إلى شيء آخر .(المعجم الفلسفي ،مراد وهبه ، 1998، 513)

الفناء إجرائياً

الفناء هو نقيض البقاء وهو بالمعنى السومري القديم يعني الخلود ، والفناء ما هو إلا مرحلة انتقال أو محطة انتقال إلى عالم آخر ، يتهالك الجسد وتبقى الروح .

الفصل الثاني

المبحث الأول

استعراض فكرة الفناء والخلود في تاريخ الحضارات القديمة ،

تعد فكرة الفناء أو الموت واحدة من الإشكالات الكبرى التي حاول العلم والفلسفة الوصول إلى كنهها ومعرفة أسرارها ، ولكل منهما أبعاد وتأويلات في أصعدة مختلفة ، منها بيولوجية ، ودينية وفلسفية ومجازية ، كما وترتبط تأويلاتها ارتباطا حتمياً بالواقع اللغوي لهذه المفردات ، حيث يوجد لكل منها جذراً لغوي ، وبعد فلسفي تحدث عنه العلماء ، للموت أبعاد كثيرة لا تحصى ،وهو الفعل الذي لا تزال أسراره مجهولة إلى الآن عند الناس ، ولا يدركون عنه إلا ما أتت به الكتاب السماوية ،ووصفته العلوم الطبية والحياتية ، وهو الشيء الذي يكنى عن وجوه عديدة للحياة به ، فكثيراً ما يعبر الإنسان في قوله وكتاباته عن حالة ما بأنها موت ، وقد ذكرت في القران الكريم ، كما سلف ، عوارض حياتية وصفت بأنها موت وهذه دلالة على تجاوز المعنى الحقيقي لهذه الظاهرة إلى معان هامشية يقدم الروائي فيها عرضا لغويا من خلاله يأخذ بالقارئ لذلك العالم المجهول وكأنه يرى تفاصيله .

شكلت التساؤلات الملحة عن مغزى حياة الإنسان ومصيره المجهول الحافز الأهم لكثير من الدراسات الفكرية والفلسفية ، فقد شغلت ظاهرة الفناء أو الموت وفكرة الخلود الأبدي مساحة واسعة من تفكير الفلاسفة والمفكرين في مختلف العصور وعلى مختلف مذاهبهم واتجاهاتهم الفلسفية والفكرية ، باعتبارها الحلقة الجوهرية الأكثر غيبية التي تدخل في صميم الوجود الإنساني ، التي تناولها فيض من الفكر والخيال تحليلاً وفلسفة ونقدا وإدراجها في دائرة تأملاته وتصوراته وافتراضاته وتحليلاته المختلفة ، من اجل معالجة الواقع الإنساني أو تحسين صورة بقائه أو امتداده ، فضلا عن الدور الذي لعبته القراءات الفكرية عن الوجود الإنساني أو تحسين صورة بقائه أو امتداده ، وكذلك الدور الذي لعبته القراءات الفكرية عن الوجود الإنساني وظواهره في إغناء حقول معرفية وثقافية مجاورة ومنها الفن بتحليلاتها الغير مرئية وفتحت أمامه رؤى عميقة تشكلت من خلال أساليبه المختلفة ، حيث أثرى حراكها المعرفي الحقل البصري في حداثته

(بإسقاط النموذج المحاكاتي ، ناظرا إلى الوجود الخارجي ببصيرة تنفذ إلى الوجدان ، والإحساس بالجوهر الباطن ، إلى مسلمات الفكر وقراءة الجانب المطلق للوجود الإنساني) (بلاسم ، 2008، 72) ولكي نكشف حراك هذا المفهوم في دائرته الفلسفية المثالية عند فلاسفة العقل بالفكر التأملي الميتافيزيقي ،

فقد اقترن مفهوم العدم أو الموت عند سقراط ، على الرغم من مجهوليته ، فانه يبدوا اخف وطأة من الحياة ، إذا ما خلت من الحكمة والمعرفة ، كما يقول سقراط (ان أحدا لا يعرف ما هو الموت ، لكن الناس تخشاه كما لو كانت تعرف انه أعظم الشرور ، وان الصعب ليس تلاقي الموت ،بقدر ما هو تلاقي الشر الذي يتفشى بأسرع من الموت ، وإنني بالموت لا أبالي ، وكأنه لاشيء ذلك ان كل ما يهمني هو عدم القيام بأي فعل كان ظالما أو بعيد عن التقوى) (افلاطون ، 133،2001) لذا فهو يدع الخيارات مفتوحة لإمكانية الفناء أو الخلود باعتبار الموت (أما ان يكون عدماً وغيبوبة تامة ....وفيه انعدام للشعور ، أو انه كرقود النائم الذي لا تزعجه إلا الأشباح ،وفي هذا الموت نفع لا نزاع فيه ، وليس الخلود إذن إلا ليلة واحدة ، وأما ارتحالا وانتقالا للنفس من هذا العالم إلى العالم الآخر

، حيث يستقر الموتى جميعا كما يقال ، فأي خير يمكن ان يكون أعظم من هذا) (جعفر ال ياسين ،49،2003) ومن تلك الإمكانيتين نجد ان سقراط يلوح ضمنا إلى الخيار الثاني من خلال تأكيداته العناية بالنفس ، التي تناولها تلميذه أفلاطون بجانب من التفصيل في المحاورة في محاورة فيدون واعتبرها (غالبية الباحثين الافلاطونيين وجهات نظر تعسفية أقامها أفلاطون يربط الصورة الواقعية لساعات سقراط الأخيرة بنظرية الخلود الخاصة به) (جاك شارون، 1984، 49)

نظرية الخلود

ان نظرية الخلود عند الافلاطونية لا تخلو من التراث التراجيدي اليوناني عن الموت (باعتباره تحقيقا واكتمالا للحياة ، وبمعنى من المعاني ضرب من الاكتمال وحالة امتلاء) (احمد عبد الحليم ، 2008 ،179)وهو نقطة تحول بين حياتين مختلفتين ، وبحلوله يتحقق للنفس الإنسانية منتهى خلاصها من قيود الواقع المادي وآلامه وظلمه

وتتحرر من سجنها الجسدي وتنتقل إلى عالم الخلود ومن ثم تعاود انبعاثها من جديد من خلال التعاقب الدوري لميلادها ، لذا فان الإيمان بالحياة الأخرى لدى افلاطون مبدأ يمدنا بالشجاعة في مواجهة الموت وتحمل موت أحبائنا ، لهذا فان احد الأسباب التي دعته إلى إبعاد الشعراء من مدينته الفاضلة (لان لديهم فقرات تثير الخوف من الموت) (برتراند رسل ،2002 ،120)

ان التباين في كثير من آراء الفلاسفة المثاليين اليونانيين لم يمنع من توكيدهم نظرية الخلود باختلاف تصوراتهم لها ، إلا ان أفكار الايبقوريين السابقة لها تتعارض معها تماما ، حيث تبنوا مذهب حيوية المادة ، فالمادة هي مصدر حياة الحياة والحامل لبذورها ، وان النفس مؤلفة من ذرات ممتزجة ولانهائية تتناثر عند الموت ، ويقول ابقور عن ذلك بأنه (يحررنا من الخوف من الموت والخوف من حياة آخرة ، ان الموت ليس شراً ، ولو كان هناك موت فلن نكون ، أليس هذا هو نهاية كل شعور وكل وعي (وولتر ستيس ،128،1999)

وإذا ما انتقلنا إلى الفنون في بلاد وادي الرافدين ، فان تجسيد فكرة الفناء والخلود أخذت منحى مهم في النتاجات الفنية لتلك الفترة فضلا عن ان الفكر البشري يمتاز بامتلاكه إمكانية التفكير والقلق من الموت الذي مثل ظاهرة اجتاحت الفكر الرافديني مما شكل ظاهرة خطيرة دعت الحاجة إلى الرغبة في معالجة هذا القلق السايكولجي الذي مثل شعورا جمعي يردده كل إنسان في تلك الفترة ، فضلا عن الحاجة الملحة في (إحالة إشكالات الفكر الاجتماعي على منظومات شكلية وتنوعت الخبرة في استخدام شتى أنواع الخامات وإخراجها على شكل إبداعات فنية متنوعة الموضوعات فكانت تجربته ثرية في آليات إظهار الأشكال التي ولجت حدود الأساليب الواقعية والتعبيرية والتجريدية لمعالجة هذا القلق الوجودي الذي أصاب إنسان تلك المرحلة). (زهير صاحب ، 2016، 12)

ان هذه المعرفة التي أسبغ من خلالها مختلف المعاني والتصورات عن الموت ، وتعد واحدة من سمات تفرده على بقية الكائنات الحية الأخرى ، فمنذ مراحل التأسيس الأولى للتاريخ البشري (والتي تتجاوز فيها قدرة الطبيعة قدرة الإنسان حيث ينبغي عليه ان

يقاتل لمجرد البقاء) (روجيه غارودي ، 1999، 27) مسيرة انتاج المواد الضرورية لاستمرار الحياة ، المحرك الفعال وخالق الابتكارات الثقافية الأولى في خضم هذا الصراع ، ولعل الطقوس والشعائر التي ترافق الولادة والزواج ووضعيات الدفن وبناء القبور ، كانت من أولى المحاولات التي أقامها الإنسان قديماً ، واهم الشواهد والعلامات الثقافية التي أرخت طموحه في تجاوز أزمات الحياة ، ووثقت تأملاته الأولى عن الحياة بعد الموت فمنحته حضورا تاريخيا ، وكانت من أهم وسائله في استنطاق وجوده ومصيره ، إذ تشير قبور إنسان النايتدرال انهم ابتكروا للتكيف مع تبلور وعيهم بحتمية موتهم صورا وتصورات مقابلة ، فحين يدفنون موتاهم باهتمام وعناية ملحوظين يعني أنهم قد أصبحوا يعتقدون بان العالم المادي والمرئي ليس الحقيقة الوحيدة (وحين عملوا على تجهيز رفاة موتاهم لاستقبال حياة جديدة كانوا أيضا منخرطين بنفس اللعبة الروحية للتظاهر بالاعتقاد التي هي الجامع المشترك عند جميع صناع الأسطورة) (كارين ارمستنروغ ،14، 2008)

لقد ربط إنسان المجتمعات القديمة بين إيمانه بالحياة الأخرى وبين الحفاظ على وجوده المادي ، وهذا ما يفسر (إصرار الاكديين على تدمير رفاة أعدائهم ، عندما أمر نرام سن أبناء عدوه المهزوم بسحق عظام والدهم) (محمد الخطيب ،2008 ،298) فالحرمان من الدفن وإقامة مراسيمه في حد ذاته يعتبر عقابا للموتى ونذير شؤم وتحذير للأحياء من حرمانهم المغادرة للحياة الأخرى .

ان هذه التصورات المشكلة للغة الرمزية تبدوا في المراحل الحضارية لبلاد وادي الرافدين ومصر ويونان ، مشابه لبعضها البعض شبها ملحوظا (ذلك لأنها تعود إلى نفس المحسوسات والمدركات الحسية ، وتعود لنفس التجارب الروحية التي تجمع اقوام الحضارات كلهم وتوحدهم) لما تبثه من خطاب معادل لقلقهم الوجودي ، ولتجعل منه نقطة ارتكاز في العالم ، لمواجهه قوى التحدي الكبيرة للموت ، لذلك نجد ان فكرة الموت متلازمة في الفكر الأسطوري والتاريخي مع التصير الأول للحياة الاجتماعية ، وهذا المعنى يتحرك بشكل واسع ليمتد بشمولية على جميع الحضارات التي بنيت على هذا الأساس .

ان التصورات التي انتجتها المخيلة الأسطورية لأنسان وادي الرافدين عن الموت ، تأسست على وفق نظرته القلقة للوجود وخوفه من المظاهر الطبيعية والظواهر الكونية ومتغيراتها وتناقضها وانعكاسها على حياته ، فكانت الرموز دلالة ، وبمثابة الواجهة التي تخفي ورائها في ان واحد تشبثهم بالحياة وقلقهم إزاء متغيراتها ، وهي نتاج طبيعي يترجم صراع المتضادات في حركة وجودهم بأبعادها الطبيعية والكونية ، ولاشك (ان هناك ترابطا وثيقا بين التقسيمات والتقاطبات الكونية ، فوق تحت ، أعلى وأسفل ، وذات البنية الزمانية ليل نهار ، فصول ، وبين التقاطبات التي تتصل بالنمط المحسوس لوجود الإنسان) (ميرسيليا الياد ، 322)

ان اغلب الأشكال التي نفذها فنان وادي الرافدين كانت تمثل مرموزات استعارية جسدها بفكرة الموت فكانت اغلب أشكال المنحوتات حيوانية وتتمظهر بهيأة أشكال مركبة على جسد إنسان أو رأس إنسان على رأس حيوان ، ان تجسيد فكرة الموت بمصورات وأشكال حيوانية ، لما مثلته هذه الحيوانات من مخاوف وقلق تجاه الإنسان في الطبيعية ، فأحالها إلى أشكال نفذها بهيأة منحوتات أعدها بمثابة تعويذات سحرية لغرض طرد الشرور وإعطاء وظيفتها لإسكات هذا القلق الوجودي الذي رافق إنسان تلك الفترة ، وهذا ما نجده في بعض من الأعمال الرافدينية .

وإزاء ذلك نجد ان أشكال الأسود في التشكيل الرافديني دلالات رمزية مزدوجة تحركها قوة الفناء الكامنة فيها والتي يجب الانتصار عليها ، فالمتغيرات الطارئة والأخطار من حرب وفيضان وموت تشكل المحرك لرمزيتها انظر الأشكال الأسود ، وهي أيضا تمثل رمز القوة التي تثير الرعب في قلوب الأعداء ، كما في سلسلة أشكالها التي توزعت على جهتي الشارع الملكي لبوابة بابل ، حيث (الأسد قرين الآلهة عشتار ، والذي يؤكد حضورها الفاعل والمهيمن في بيئة الشارع المكانية ، أما كثرة عدد أشكال الأسود فأريد به تجاوز العلاقة السببية بين المرموز به والمرموز إليه لتفعيل الدلالات الرمزية الممتدة إلى مفاهيم الحماية الكونية والانتصارات الدائمة)(زهير صاحب ،2011، 186) عادة حل الضفائر حزناً على الميت من البقايا الرمزية لعادة قديمة هي قص الشعر وتقديمه قرباناً للميت

وإذا ما انتقلنا إلى الفنون الفرعونية فأن الأمر سيكون على مستوى أوسع في تجسيد الاستعارات الشكلية لفكرة الموت ، إذ وجدت التنقيبات الثرية الكثير من القطع الأثرية والتي مثلت العديد من الأشكال وهي تبعث بمفهومها فكرة الموت والتي تارة تصور بهيأة حيوان وتارة تصور بهيأة إنسان على جسد حيوان .

أن ما يعد توافقيا بين الاستعارات الشكلية لفكرة الموت وبين والكائنات المركبة والأمر يمكن إرجاعه إلى الفكر الفرعوني ذاته إذ إنه يعتمد الجمع بين المتناقضات في الطبيعة أو الواقع ليركبها تركيبا لا يقبل منطقيا وهى تتمثل بعملية تركيب قصدية ،إذ نجد أن (هذه التكوينات التي تشتغل بفعل اللاوعي ،شملت سلسلة طويلة من الأشكال المركبة ،أكثرها ظهوراً في أعمال النحت والرسوم الجدارية ، القرد الذي رأسه رأس كلب ،والأشكال البشرية التي تتمسرح في الدراما الدينية ،تارة برأس أسد وأخرى برأس ابن آوى ،وقد امتلكت تكثيفا هائلا بخطاب التشكيل وإبلاغه ، حيث تعددية القراءات الرمزية ،وفوق واقعية الفكرة العاملة بفاعلية في بنية الفكر.باعتبارها نوعا من التركيب أو التأويل الرمزي لأكثر من صفة في دلالة الرمز) (زهير صاحب ،2003، 37) إن هذا التأويل لابد أن يكون مرمزا ولأنه ضمن دائرة الترميز فهو حتما ضمن من دائرة الميثولوجيا .

إن المعابد الفرعونية وقصور الملوك والجدران المزينة تقدم لنا الكثير من الأمثلة التي تتعمد التركيبات المتناقضة واقعياً أو حتى المستحيلة وهو أمر دراماتيكي يتوافق مع عدمية الفناء لفكرة الموت ،إلا إن ما يجلب الانتباه في هذا البحث وما يود الباحث أني يوضح هذه النتاجات التي تميزت بها الفنون القديمة كما في وادي الرافدين ووادي النيل وحتى الفنون الأغريقية التي لا نستطيع ان نقدمها بغية عدم الإطالة والإسهاب في موضوعة البحث، هو ذاك التركيب الذي اعتمد الجسد الإنساني على النحو الواسع واعتمد في المقابل الجسد الحيواني أو جزئيات منه فبالمزاوجة المركبة القصدية كانت المرمزات تتناغم مع فكرة الموت وهو ما يبين لنا في النتاج الفني المسمى (أبناء حورس) نجده قد ظهر ببنيته الرباعية (في هيئة أدمية يقفون على زهرة اللوتس ،وكان وجودهم في الزهرة الكونية الأزلية إشارة رمزية لإعادة ميلاد الموتى من زهرة اللوتس

التي تتأثر بقواهم ،وكانت مهمتهم حماية الجسد بالإضافة إلى حفظه من الجوع والعطش وخاصة الأعضاء الداخلية التي كانت تتأثر بشدة (مانفرد لوكر ،32) إن الحضارة المصرية مفعمة بالكثير من الأعمال التي تتجسد بها فكرة الموت بل يستطيع الباحث أن يجزم بان اغلب الفنون الفرعونية مثلت بها الكثير من الأعمال التي تتمظهر بها فكرة الموت والأمثلة في ذلك لا يمكن حصرها على مستوى هذا البحث لسببين الأول أنها من الموسوعية تتخطى البعد الكمي والموضوعي لهذا البحث والثاني لخصوصية البحث وتوجهه إلا إن الباحث استسقى بعضاً من هذه الأعمال ذات الاستعارات الشكلية لفكرة الموت ليبين المرجعيات التي استسقت منها الفنون المعاصرة أفكارها أولاً والية البناء النصي للفنون البصرية ثانياً .

وعند تتبعنا التطور التأريخي في العصور لوجدنا أن أيقونة الفناء (الموت) تتمثل في كثير من الرموز والأساطير وأن الضاغط (الميثوسسيولوجي) له تأثير واسع في المجتمع الجمعي من خلال تأثره بعدة رموز وأيقونات تكسبه صفة اللاشعور الجمعي، فمثلاً في بلاد وادي النيل نلحظ أن للرمز معنى متعدد ومعقد ،ولذلك من غير الممكن غالباً أن نشرح أصلة والغرض منه بطريقة مرضية ويبدو الرمز في بعض الأحيان وكأنه يناقض نفسه وفي الحقيقة توجد الرموز التي تشير إلى كل من قطبي الوجود أي الحياة والموت ،والخير والشر،وهذه الطبيعة المتناقضة واضحة خاصة مع بعض المعبودات الإناث ، فمن الممكن أن تظهر المعبودة (باستس)في صورة قطة لطيفة أليفة ارتبطت مع النساء بالموسيقى والرقص ، وتظهر نفس المعبودة أيضاً ولكن تحت أسم (سخمت)على هيئة سيدة الموت مدمرة مخيفة متعطشة لدماء القتل متمثلة برأس لبوة)) (مانفرد لوكر ، 13) .

ويمكننا الانتقال إلى الفن الأغريقي على وفق التحول التاريخي للفنون إذ نجد أن الأغريق قد أنتجوا إعمالا فنية ذات مستوى مميز في الأداء إلى مستوى من الحرفية ومركب الخيال الذي يعد مفاجئة وإثارة جمالية فاعلة إلى يومنا هذا إذ إن لهذا الشعب الحيوي المنتج تأريخ مهم وحضارة يمكن أن ترجع إلى العصور القديمة ، ويرى الباحث عند اطلاعه الأعمال الفنية الإغريقية وجود الأمثلة عن هذه الأعمال ذات

الأشكال التي تتجسد بها فكرة الموت ،ولأن الفكر الإغريقي مفعم بالأساطير والحكايات الميثوسيسولوجي بين ما يعد مناقضة أو معاكسة للواقع الفيزيائي البايلوجي كثيرة وما رسم على الخزفيات واضح ومنها البطل هرقل وكلبه ذو الرؤوس الثلاث سبيروس إذ أن جعل للجسد رؤوس عديدة أمر نجدة واضح في فنون وروايات كثيرة سبقت الإغريق وانتشرت في الميثولوجيا الحكائية والمرسومة على نحو واسع وما الجرة |(التي صنعت عام 530 ق. م والتي رسم عليها مشهد من الميثولوجيا اليونانية يصور البطل الأسطوري هرقل (herakles)وهو يقتاد الكلب سربيروس (Cerberus)ذو الرؤوس الثلاثة ليسلمه إلى اريسثيوس(eurysthesus)سيد العالم السفلي (الموت) (hades)الذي فزع فور مشاهدته الكلب وقفز في إحدى الجرار) (ناصر الشاوي ، 104)

المبحث الثاني

استعراض فكرة العدمية (الموت) في الفن المعاصر

وإذا ما انتقلنا إلى فنون الحداثة وما بعدها ، فالأمر يمثل تحول كبيرا في تجسيد الأعمال الفنية ، فضلا عن إشاعة فكرة الرفض والازدراء والتي أسهمت بإضفاء طابع مميز في إظهار الأعمال الفنية برؤية تختلف عن المتداول السائد ، فمثلت نقطة تحول مهم ، وهذا ما نشاهده في العديد من المدارس الفنية والتي ابتدأت مع حركة البراربيزون ، مرورا بالانطباعية وما افرزه معرض المرفوضات ، فضلا عن ظهور مؤسسات فنية أحالت القيم والأعراف السائدة إلى سخرية تتهكم بها ، والمؤثرات التي هيمنت على الفنون عن طريق المدارس الفلسفية أسهمت بشكل كبيرا في نبذ القيم والأخلاق والأعراف والتقاليد ، والدعوة إلى تبني موقفا مغاير يدعو إلى العبث ورفض القيم السائدة . ان التحول المهم في فترة الحداثة ابتدأ مع عدمية نيتشه وتشاؤمية شوبنهور.

توصف العدمية بالصورة البديلة التي اعتمدتها الحداثة بل إن العدمية تعبر عن روح الحداثة ومنطلقاتها . ويعد(فريدريك نيتشه) مهندس العدمية بعد(أرثر شوبنهور) ،إذ يذكر فريدريك نيتشه في كتابة (أرادة القوة) .(ظهرت العدمية ،في بادئ الأمر ،بوصفها شرطا نفسيا ،حين أجهدنا أنفسنا بإضفائنا على كل ما يحدث "معنى"ليس منه في شيء

،بحيث أن الباحث ينتهي به الأمر إلى فقدان شجاعته في النهاية .بهذا تمثل العدمية (معرفة التبذير الطويل الأمد للقوة) ،هي الألم المعنوي الذي تسببه دون جدوى هذه هي اللايقين ،هي قلة الفرص المتاحة لاستعادة القوة بأي شكل كان للاطمئنأن على أي شيء كان). (فريدريك نيشه ،2011، 15)

العدمية مشتقة من العدم أو الفناء وهي مقاربة للموت ،وفكرة العدمية شغلت الإنسانية مع بدايات وعيها ،وبعض من أسس الفكر الإنساني بنيت على فكرة حياة ما بعد الموت وفكرة الموت والشقاء ذاتها . واختلفت الآراء إلى أعلى مراحل التباين ،حتى أن الميتافيزيقيا والفكر اللاهوتي قدموا رأياً يريح البشرية بحياة ما بعد الموت .فالإنسان مستمر وما الفناء أو العدم إلا نهاية مرحلة صغيرة كاذبة ، لكن النظريات الأخرى ومنها المادية والوجودية قدمت الأمر بمواقف مناهضة مختلفة والفكر الوجودي المعاصر ، أو ما نطلق علية بالفكر الملحد استمر العدم .وحتمية كأداة لرفض الوجود وازدراء قوانينه وقيمه وأخلاقياته. (نجم عبد حيدر ،2006 ، 64)

ولهذا عد(نيتشة) العدمية واقعة متحققة نتيجة ضياع الإنسان ،والضياع يتمثل بصراع النفس مع كيانها الخاضع عنوة لقيم المكان والزمان المحكوم بقيم ،إذ يراها(نيتشه) كاذبة تعبر عن هيمنة من صنعوا هذه القيم وأسس لها. ويذكر(نيتشة) في الكتاب نفسه (كل تقييم أخلاقي محض كالتقييم البوذي مثلاً يؤدي إلى العدمية :ولابد من انتظار حلولها بأوربا ،نظن أنه بوسعنا تفادي ذلك بإتباع أخلاقية ليست لها خلفية أخلاقية ،ولكن هذا يفتح الطريق حتما للعدمية .فالإكراه الذي يجبرنا ،نحن ،على عد أنفسنا محددين للقيم ،ولا جود له في الدين فالعدمية عرض يدل على أن المحرومين لم تعد لهم مواساة أنهم يسحقون لكي يتم تدميرهم ، أنه لم يعد لديهم ،بعد أن انفصلوا عن الأخلاق ،أي سبب يدفعهم إلى الاستسلام أنهم يتبنون المبدأ النقيض ويريدون أيضا أن تكون القوة بجانبهم وذلك بإرغام الأقوياء على أن يكونوا جلاديهم) .(فريدريك نيتشة ،18، 2011)

أن ما قدمه نيتشة في العدمية يمكن إرجاعه إلى عدمية شوبنهاور الذي أثر وألهم الفكر النيتشوي .إذ يعد شوبنهاور العالم عدميا (كما يظهر وفقا لصورتي الزمان والمكان

يعدهما عدماً،والعدم الذي ينشأ عن إنكار الإرادة وجودا ،ولكن ما دمنا خاضعين لإرادة الحياة ،فأننا لا نستطيع أن نتعرف على العدم الحقيقي في الوجود الظاهري ،وإنما نعد سلب هذا الوجود عدماً) (فؤاد كامل ،1991، 117) .ومن منظور آخر يقول شوبنهاور واصفاً العقل بأننا(نخطئ إذا ظننا أن العقل هو المحرك للإنسان ،فوراء العقل إرادة شعورية ولا شعورية كاسحة تجرف العقل في طريقها .هذه الإرادة الكاسحة تسخر العقل وغيره من أدوات لخدمتها ، وهي جوهر الإنسان ،بل قد تكون جوهر الجماد ولعلها وهذا أكيد "الشيء في ذاته"يسعى الفلاسفة إلى إماطة اللثام عنه) .(وفيق غريزي ،2008، 94)

وبهذا لم يعد هناك أمل لحياة مستقبلية بعد الموت الذي لا مفر منه (فهو تشتت لا يمكن توقعه للذرات التي التحمت بالصدفة لتصنع الحياة التي هي في جوهر طبيعتها ظاهرة منقطعة غير متصلة ، وليس ثمة قوانين تؤدي إلى ظهورها وليس لها اثر باق على ما يليها من كتل المادة ، فقد جاءت بلا سابقة وسوف تبقى بلا بقية) (جيمس كارلس ،ص53)

أما شوبنهور قدم صورة مأساوية ومتشائمة للحياة الإنسانية ، باعتبارها سلسلة متواترة من التمثلات والظواهر المتضمنة لجملة من الرغبات والحاجات المتصادمة مع النقص والعقبات ، حيث الألم السمة الأصلية للحياة ، وظاهرة غير خارجية ومفروضة قسرا وتنبع من داخل الإنسان بل موجودة في طبيعتها بفطرته ، والسعادة التي يحاول ان ينالها الفرد في كفاحه المرير مع الألم سلبية ، سرعان ما تنتهي بألم آخر وحرمان جديد ، ولكن في مقابل ظواهر الحياة التي تخضع لمبدأ الضرورة ، هناك الإرادة ،التي يعدها شوبنهاور (جوهر الإنسان ، وفيها يجد التأمل الباطن المباشر ، الجوهر الباطن الحقيقي له ، والذي لا يمكن ان يفنى ، وهي البذرة الحقيقية الوجودية فيه ، والشيء في ذاته) (عبد الرحمن البدوي ،1983، 186) وهذه الإرادة باطنية تنبع من ضمير الإنسان وشعوره وليست اختيارية ، أو تابعة لبواعث وحركة الإنسان ، وليست عاقلة أو محدودة وإنما تتحقق موضوعيا من خلال الحياة والعالم ، ولتوكيد نفسها عن طريق الجسم ، منحت الفرد الطاقة الغريزية لتحفظ بقاء نوعه في الوجود (فالفرد في نظر

الإرادة نسخة أو عينة لا تتأثر الإرادة بموته ، ولا تهتم هي بالأفراد كأفراد وإنما تهتم بهم من حيث النوع الإنساني كله ، وهذا النوع هو الذي تسهر الإرادة على بقائه ، فتبذر البذور التي يدوم بها ، وتشعل الرغبة في التناسل التي يبقى بها ، فهي لا تتردد في القضاء على الفرد مادامت تعلم ان أمامها الأبدية كلها لتحقيق عملها وهو خلق الأفراد) (فؤاد كامل ،1963 ، 82)فالغريزة الجنسية ، إذاً ما هي إلا الإرادة التي تتجسد فيها إرادة الحياة التي هي سر الواقع والمعنى الحقيقي للوجود مؤكدة نفسها بكل الظواهر العرضية المتقابلة والمتناقضة التي تنتابها (فالنسل هو الغرض النهائي لكل كائن عضوي ، وأقوى الغرائز ، والوسيلة الوحيدة التي تمكن الإرادة من قهر الموت ، ولكي تضمن الإرادة ذلك ، عمدت ان لا تضع إرادة النسل تحت رقابة العقل أو المعرفة أو التأمل) وبهذا فان الموت لا يستطيع قهر حياة الإرادة أو حياة الشيء في ذاته أو النيل منها ، وإنما الذي يتأثر بالموت فقط عالم الظواهر الفردية الذي يخضع للزمان وحده ، ومنها الفرد الإنساني ، أما الإرادة فهي تحارب الموت (وما العقل إلا عبد وخادم لها ، فنحن ليس لدينا رغبة في هذا الشيء أو ذاك لأننا نعقل أو نفكر ، بل تحفزنا الإرادة إلى ان نرغب ، وينشغل العقل في إيجاد الأسباب والمبررات لما نرغب فيه)(بيلي سوندرز ،27) فالإرادة بما تمتلكه من واقعية ، هي مصدر التحكم في الشعور وهي المحرك لذات الإنسان ، وتصبح بعد موت الإنسان وفناء كيانه وتحطيم فرديته ، أبدية وخالدة في النوع الإنساني ، فهي عزاؤه الوحيد في موته وموت الآخرين ، إذ لا يستطيع الموت ان يمس ذلك العنصر الأبدي فينا ، وكما يقول شوبنهور (ان الواقع الجزئي كظاهرة يفنى ، أما كشيء في ذاته فعلى العكس من ذلك يكون خارج الزمان ، أي لانهاية له ، ويتميز كظاهرة فحسب عن الأشياء الأخرى الموجودة في الكون ، أما كحقيقة في ذاتها فهو نفس الإرادة التي تتحقق في كل شيء والموت يبدوا السراب الذي يجعل شعوره منفصلا عن الآخرين ، وهذا هو معنى البقاء) (اندريه كيسون ،1985 ، 129)

فالموت عرض مستمر للصور والأشكال المختلفة ويجددها باستمرار ، والتي تعرض الإرادة نفسها فيها ، فهي أشبه بالمرآة التي تعكس عليها هذه الصور ، وهي أزلية لا تفنيها متغيرات الزمان أو الظواهر ، إنما هي تقع خارج تلك المحدوديات .

فالإنسان هو الكائن الذي تتقاذفه أمراض الحياة ومتناقضاتها والشقاء ماهيته الأصلية النافذة في عمق وجوده ، حيث ينتهي الزمان في ساحة مجهولة لا تنالها خبراته أو معارفه ، والموت لغز وبه (نعود إلى وضعنا الأصلي ، وضع الشيء في ذاته ، وحينما يفنى وعينا وذهننا في غمار الموت فأننا نوضع فحسب موضعاً مجهولاً ، لكن ذلك لا يعني انه سيكون وضعاً غير واع تماماً وإنما بالأحرى وضعا أسمى ، إذ في ظله يختفي الانفصال بين الذات والموضوع) (جاك شورون ،209) فالزمان يعد عنصر الفناء وسمة الوجود للفرد الإنساني في بعده الذاتي والموضوعي رغم نسبية الوجود واللاوجود كظاهرتين متصورتين ، بحيث يتشكل ضمن المعرفة العقلية جدارا لا يمكن النفاذ منه إلى الشيء في ذاته ، الجوهر الحقيقي للوجود .

أما سارتر فعندما رفض فكرة المثالية للموت باعتبارها نتيجة أو استحقاق مكمل للحياة ، ذلك لان المفهوم يرتبط عنده بالطابع العبثي لهما ، فالموت كالولادة (واقعة خاصة ، يأتي إلينا من الخارج ويحولنا من الخارج ، وهو لا يتميز في جوهره إطلاقا عن الولادة) (جان بول سارتر ، 688) وهذا التطابق الذي يدعوه سارتر بالوقائعية* ينتج الموت كواقعة عرضية وحدثا يخص لما هو ذاته ، لذا يرفض إعطاء الموت صفات فردية أو استنتاجات قبلية أو بعدية ، اعتباره إمكانية شخصية كما وصفه هيدجر بأنه الشيء الوحيد الذي ليس بإمكان احد ان يفعله عني وكل الموت بمفرده فلا احد يموت بدلا عن الآخر ، لان وصفه للموت بأنه أنا ، يجعل منه حدثا قابلا للانتظار ، ويقول سارتر عن ذلك (لا يمكن للموت ان يتميز بخصائص معينة ، لأنه موت كموتي ، ومن ثم فان بنيته الجوهرية ليست كافية كي نجعل منه ذلك الحدث المشخصن والموصوف الذي يمكن انتظاره) (حبيب الشاروني ، 57)

لكن (العدمية) التي تعد أساس الفكر الحداثوي مع إطلالة القرن العشرين أخذت حيزاً مهما في الفكر الوجودي ولاسيما (هايدغر،وسارتر)بوصفهما مؤثرين وفاعلين في الفكر المعاصر ويمكن أن تعد السريالية معبراً لها في كثير من نتاجها عنه،هذه الوجودية التي تعد العدم والعدمية إحدى مؤسسات بنائها الفكري .

إذ يقدم (مارتن هيدغر) العدمية بوصفها (العملية التي لم يعد ثم شيء قيماً يتصل بالوجود ،بيد أن التعريف الهيدجري لا يخص وحسب نسيان الإنسان للوجود ،وكأن العدمية لم تكن إلا آليته وتبدلاته الناجمة عن ضلال ،أو أكذوبة ،أو وهم ذاتي ملازم للمعرفة تقابله بالصلابة الراهنة والماثلة للوجود ذاته ،وجود منسي بلا ريب ،ولكنه وجود لم يتبدد ولم يتلأشى).(جياني فاتيمو،1987 ،24) أن هايدغر قدم العدمية بوصفها واقع الوجود الإنساني الذي بنظرة يمثل الكذب وصورة ضلال وأهم يصارع الإنسان من أجل لاشيء لأنه (معدم) واقعة حتمية لا محال منها، هي الموت و (لا تزال العدمية المكتملة عند نيتشه تمتلك تلك الدلالة الأساسية :أن ما ينادينا في عالم الحداثة المتقدمة هو نداء إلى الانصراف (الاستقالة)هذا النداء يعتمده عند هايدكر،بتأكيد ضرورة التخلي عن الوجود بوصفه أساسا للقفز إلى الأعماق السحيقة الأعماق التي عندما تستدعينا انطلاقاً من تعميم القيمة التبادلية والمصادرة التقنية في التقنية الحديثة) .(جياني فاتيمو ، 1987، 24)

اتضح للباحث من هذا العرض الفكري النظري لفكرة العدمية أنها فاعلة في النتاجات الإبداعية في الأدب والفن ولاسيما التشكيل . أن هذه العدمية التي تعلن الفناء والسحق الإنسان تلقفتها مخيلة فنانو التشكيل عبر عصور مختلفة وبعضهم لم يعرف الوجودية كما نعرفها الآن بل أن بعضهم سبقها بزمن ليس بالقصير .

مؤشرات الإطار النظري

1-المنظومات التي تقدم التأويل باستعارة المفاهيم والمعنى من عصر الدويلات القدمية ، يقدمها النص لتكون ممثلة لفكرة العدمية والفناء في الخزف المعاصر

2- العدمية التي تتخطى المنتج الفني تبعث بمفهومها أشكال خزفية تمثل في منحاها القلق والألم والانسحاق لأجساد فنية متهالكة شكلت خزيناً ابستمولوجيا تقترب من عدمية الفناء والموت .

3-استلهام الأشكال المستدعاة من الواقع وتعريضها لتغير الشكلي في هويتها المفترضة الواقعية شكلت خزيناً مهماً لذاكرة الفنان في انتاج أعماله الفنية

4-عندما تكون فكرة الرفض والازدراء والإنكار للقيم والتقاليد السائدة بالمفهوم النيتشوي ، واستعارة خامات من الواقع ذاته ، مثلت منظومة خصبة وثرية لمخيلة الخزاف في تنوع الأعمال الفنية التي تتواجد بها فكرة العدمية والفناء .

الفصل الثالث

مجتمع البحث

تم اختيار حدود بحثه من قبل الباحث مجتمعه الخاص بفن الخزف المعاصر باعتماد الحدود الزمنية التي أشار إليها في الفصل الأول ، التي تتكون من النتاجات الخزفية المعاصرة ، والتي تتصف بكونها نصوص تتمثل بها عدمية الفناء ، واطلع الباحث على كم واسع من النتاجات الخزفية عبر دراسة مسحية لمجمل الأعمال الخزفية المعاصرة ، معتمداً في ذلك على مواقع السوشل ميديا وصفحات الخزافون المعاصرين ، وان مجتمع البحث يتكون من (30)

عينة البحث

تم تحديد عينة البحث على نحو قصدي باختيارات تعتمد عدمية الفناء في الخزف المعاصر ، وكان اختيار الباحث ، وبما تتلائم مع الجانب التفاعلي لهذه العينات ، والتي تكون قريبة من الشروط الواجب توافرها في بنية النص مما يحقق أهداف البحث ويولد نتائج تكشف عن صورة البحث النهائي إذ تم اختيار (6) عينة تشمل (6)

فنانين تمثل الحدود الزمنية والمكانية وتتفاعل مع المؤشرات التي انبثقت من الإطار النظري .

منهجية البحث

اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي من حيث إعادة قراءة النص بأداة المؤشرات التي توصل إليها فضلاً عن مراكز التقويض التي تفعل النص .

أداة البحث

واستعان الباحث بالمؤشرات التي تحققت من مباحث الإطار النظري كمعادلات ومعيار للتحليل تعتمد عدمية الفناء في جزئياتها فضلاً عن الملاحظات التي توصل إليها في المعاينة للنصوص بأجمعها.

تحليل العينة

ان العناوين التي قدمتها دراستنا الحالية في البحث عن فكرة العدم والفناء (الموت) وتجلياتها في الخزف المعاصر ، تظهر ان تأسيسات الأعمال الفنية المنتجة في تلك الفترة ، ارتباطها بجسد الإنسان وأجزائه المرتبطة المتداخلة والمتقاطعة والمتلاشية بهيئات إنسانية ، تقدم فكرتها العدمية ضمن محيط الفناء والتي عادة ما يكون مرتبط بحاجات وذرائع تجعل من الإنسان ، منتهي إلى الهلاك ولا يملك غير الصراخ الذي تجسد فيه الألم ، أنها دراماتيكة الألم والانسحاق انسحاق الذات تهاوي تشخيص الإنسان للانا التي تمتلكه ، تذوب مع انفعالاته وحاجاته الذرائعية ، فتتصل بتشخيص الأشكال الإنسانية لتبدو بهيئات اقرب إلى الواقع ، لكنها تفقد خاصية التجسيد الكامل لأي حضور جسدي إنساني ، فالخزاف المعاصر هنا يستدعي العلاقات المتشكلة في النصوص الخزفية ، ويحيلها إلى إبداعات جمالية تؤثر وتتأثر بالمجاور ، مما يجعل التنوع الشكلي والأسلوبي متغير ، فنجد ان اغلب الأعمال التي يقدمها خزافو الفترة المعاصرة ، تجسد فردية الموت لكن بالتنوع الاظهاري لجسد الإنسان ، فنجد تارة يركز على الرأس وتارة أخرى يظهر الجسد ممزقاً وتارة أخرى يظهر بأسلوب منتهي وفاني ، انظر الاشكال .

georges jeanclos

richard cleaver

stephen de

ان العلاقة المتوازنة التي تقدمها فكرة الموت والفناء في الخزف المعاصر تمتزج مفاهيمها وتربط الخيال بالواقع ، فهي أشبه بعملية استدعاء واستعارة من البيئة المحيطة بالخزاف لتمثيل نصوصه او في بعض الأحايين نجد ان الأمراض النفسية والحالة السايكولوجية ممكن ان تحدد شخصية الفنان في إظهاره لرسوماته واشتغالاته الخزفية ، في اغلبها تبني على فكرة الموت والحياة الملازمة للحدث ، الحالة التي تقدم تقويضها للزمان والمكان ، بأشكال ونصوص تقدم حكائيتها الدرامية بحدث او ظاهرة يكون ضمن الأنساق التي تجتاح مدركات الفرد .

ان فعل الموت يبدو حاضرا من خلال شكل الجسد الإنساني بوضعية الوقوف ، بينما يتلاشى الوضع العمودي للشكل الإنساني ، ليحيلنا إلى فكرة انتهاك صورة ثبات الجسد الحي وانتصابه كمظهر متعالق مع الشكل الحيوي للجسد ومن سمات ديمومته وبقائه حيا وهنا يبدو التعبير عن الموت شكل من أشكال الإطاحة بلا قيمة العمودية المتسقة بحياة الجسد الإنساني ، ان الشكل الخزفي يظهر مشوه دون الملامح لكن الجسد المنتصب يحيلنا مظهره الخارجي في بعض العلامات الجنسية إلى كون الجسد امرأة كدلالة على ان الحدث (الصراع) يستهدف قيمة الحياة وجوهرها المرتبط رمزيا بالخصب والتجدد والديمومة ان العمل يتضمن بعض الإشارات للدلالة على وجود ، بارقة أمل للحياة.

وعليه فان العمل يقارن في تعبيره الحضور الإنساني من خلال الجسد في وسط تداخل بأجوائها المتشظية الحياة والموت باعتماد التقابلات اللونية ووسائط التعبيرية الشكلية باعتبار الجسد حاملا لقيمته الثنائية شكلا ودلالة

وهنا نجد ان النص الفني يتأسس من الشكل الإنساني كاستدعاء لتجليات الموت وفي بعض الأحايين نجد ان الجسد الحيواني أيضاً نجده حاضراً في المنتجات الخزفية ومنها العلامات المرمزة ذات تكوينات متمركزة تفضح عن بنيتها الوظيفية ، ان اغلب الأعمال الفنية تبني عليها فكرة التراكب ككتل تطغى عليها الألوان التي تبعث بمفهومها معاني الألم والانسحاق والانهيار وتكون أساسها مؤشرات لونية ذات ألوان مرافقة لروحية الموت منها اللون الأسود دلالة على الموت والأحمر دلالة على الدم ، متشكلة على الصورة العامة للجسد الإنسان غارقة في كتلة اللون الأسود والأحمر للتعبير عن المرض ونهاية الحياة ، ومما يتضح لنا ا ن الخزاف المنتج لهذه النصوص يعبر عن ما بداخله من صراع حتمي واختلاجات لاشعورية ، يحاول ان يظهرها بأسلوب إبداعي ، مقدماً جماليتها المرجوة كصورة من صور الإبداع ، ليقدم بذلك الانفعال والمبالغة بدرامتيكية ، تخترق مشاعر المتلقي لتكون انساق وصور يراها المتلقي احد العلامات ،فهي تعد فعل إقصاء عن لحظات الفرح والغبطة التي نراها لحظات مؤجلة نستشعر وجودها بتفاعل لا يلبث إلا ان يغادر ذلك الوهم الذي نسميه بالفرح ، ومن هنا يعلن الخزاف ، الامتداد الحيوي للوجود الجسدي ، ما هو إلا كيان ينهار في تقادم الزمن ، أنها عملية حتمية وغايات تمر على البشر بصورة تعيد ماضيها بنفس الألم والانسحاق ، تشاؤمية التصور التي تمارسها سلطة المرض والخوف من المجهول ، تلك العقبة تمثل استعارة من الموروث البيئي والعقائدي ، وما الروايات التي تحكى في حراك الفكر الاجتماعي وتتداول قصصها ، إلا هي محاولة لتأكيد ارتكاز المفاهيم التي نقلت صورة الموت والانسحاق ، مما يضعنا في خطاب بصري يقدم قراءة نقدية تحليلية عن التكوينات الفيسلوجية لأشكال الجسد الإنساني ، وهذا الأمر نجده في الحضارات والدويلات القديمة ولاسيما عند حضارة وادي الرافدين وبلاد النيل والفترة الإغريقية مروراً بعصر النهضة وفترة الحداثة وما بعدها ، وهذا الأمر نجده فاعلاً في مختلف الأزمنة والأمكنة ، حيث يشكل الجسد البنية الرئيسية الظاهراتية للحياة وكينونتها .

قاسم محمد

أمير حنون

Stephen Bowers

الفصل الرابع

النتائج :

1-يمثل استهلاك الجسد من خلال حضور قيمته التشخيصية في الخزف المعاصر، بإحالته الى سلسلة من التشويهات والوصال المقطعة والمبتورة والأعضاء الحركية الممزقة والمتهرئة والبالية والتي تتجسد بها مفهوم العدمية وهو الفناء أو الموت كواقعة متحققة

2-تظهر الإشارات الخطية والمفردات والنصوص التأويلية للتعبير عن فعل الفناء القسري المرتبط بالايدولجيات والميثولوجية ومرجعيات ضاغطة مهيمنة ، فضلا عن تمظهر الموت كشكل من أشكال نفي الذاكرة وإقصائها بالاستناد إلى رموز والأشكال التعبيرية .

3-حضور مشاهد طبيعية والأشكال التكوينية وتبلورها كثيمات عدمية لتمثيل فكرة الفناء او الموت في الخزف المعاصر من خلال إعادة انتاج أشكالها والمعاني الكامنة فيها بوصفها رموزا تحمل دلالات ازدواجية متلازمة لفكرة الموت مرتبطة بالتغيرات المرافقة للظواهر وتعاقباتها الزمكانية كمستعرات في التراث الأسطوري والحضاري لبلاد وادي الرافدين .

4- تبنى الخزف المعاصر في تمثيل عوالم افتراضية تتماهى فيها صور عدمية الموت بتغريب أجواء المشاهد المحيطة بالأشكال وتمويهها بالغموض او تحويرها وتجريدها إلى أشكال هندسية وعلامات ورموز وظهور الشرايين والأوردة بهيئة ساخرة

5- يتمظهر الموت كفعل إقصاء فردي في الخزف المعاصر من خلال حضور الجسد البشري المشخص منفردا في وجود افتراضي متخيل مقابل تغييب أشكال الواقع الحياتي والمحيط البيئي.

6- يشكل الجسد العنصر الهام في تمثيل فكرة الموت في الخزف المعاصر بوصفها حاملا لسماتها الدلالية من خلال تجسد قيمته في صورة تعضيه ونموه عند تمثيله بصورة التشويه والقطع وإظهار قيمة الموت المتغلغلة في نسيجه نتيجة تحقق ظاهرة العدمية كواقعة متحققة للموت

الاستنتاجات :

1-اقتضى تمثيل صورة الفناء في الخزف المعاصر والتشكيل المعاصر إلى مغادرة تمثيل الأساليب المألوفة (التقليدية) وموضوعاتها وأساليبها السردية ومرجعياتها الضاغطة وبما يتناسب مع فكرة المتغيرات والمعطيات الجديدة للعصر

2- تشكل الصور الفناء والعدم والعدمية لتمظهر فكرة الموت في الخزف المعاصر ، فهي عناصر أساسية في تفسير تلك الظواهر الغامضة وتشير إلى شيء غير محدد في عمقه أو في أبعاده هذه المنظومة الحداثوية حققت عنصر المفاجأة والصدمة والذهول لدى المتلقي

3- تبنت أساليب الخزف الحديثة والمعاصرة التعبير من خلال فكرة العدم او الفناء ذاتها ، وليس عبر تصورات غيبية مفارقة للواقع والواقعية بتقويضها المضامين القبلية المتصلة بالعقد الاجتماعي والمختلف فيما يخص مفهوم فكرة الموت

4- أن الفنون الحداثوية والأفكار والمفاهيم التي دعت إلى الخروج عن الأطر التقليدية ومشاكسة النظام والأيقون والأشكال التقليدية المتجسدة بقيم ومفاهيم منطقية وعقلية ، هي التي حققت في طياتها بوادر التقدم والتطور في الاشتغالات الفنية وهي التي جعلت من الفنانين والخزافين تحاكي بمفهومها صورة غرائبية المنحى تقدم صورة العدمية أو

الفناء في أظهار عناصر الموضوع من حيث بنائها اللاشعوري إضافة إلى خروجها عن المنطق العقلي والقوانين المتشكلة عند الخزاف لأحداث ثورة لهدم المثل والمعايير السائدة في المجتمع.

المصادر والمراجع

1- جياني فاتيمو :نهاية الحداثة في ثقافة ما بعد الحداثة 1987،ت ر فاطمة جيوشي ،وزارة الثقافة السورية ،دمشق،1998

2- فريدريك نيتشه:ارادة القوة ،ت رمحمد ناجي،المغرب،افريقيا الشرق،2011،ص11

3- كارين ارمستنروغ :-تاريخ الأسطورة ،ت،ر:وجيه قانصو، الدار العربية للعلوم والنشر ، بيروت ، ط2008

4- احمد عبد الحليم عطية :-الإنسان في الفلسفة فيرباخ ، دار التنوير ، بيروت ،2008

5- افلاطون :- محاكمة سقراط ، ت،ر:عزت قرني ، در قباء ، القاهرة ، ط2، 2001

6- اندريه كريسون :-شوبنهاور ، ت،ر:احمد كوي، دار بيروت للطباعة والنشر ، 1985

7- برتراند رسل :حكمة الغرب، ت،ر: فؤاد زكريا ، مؤسسة الهنداوي ، المملكة المتحدة ، 2017ج2.

8- بلاسم محمد :-تأويل الفراغ في الفنون الإسلامية ، دار مجدلاوي ،عمان ،ط1 ،2008

9- بيلي سوندرز :-فن الادب مختارات من شوبنهور ، ت،ر:شفيق مقار ، الدار القومية للطباعة والنشر

10- جاك شارون :-الموت في الفكر الغربي ،ت،ر:كامل يوسف ،الكويت ، عالم المعرفة ، 1984

11-جان بول سارتر : ت،ر: نيقولامتيني، الكينونة والعدم ، المنظمة العربية للنشر ، بيروت ، 2009، ط1

12-جعفر ال ياسين :-فلاسفة اليونان من طاليس إلى سقراط ، مكتبة الفكر العربي ، بغداد ،ط3

13-جيأني فاتيمو :نهاية الحداثة في ثقافة ما بعد الحداثة 1987،ت ر فاطمة جيوشي ،وزارة الثقافة السورية ،دمشق،1998

14-حبيب الشاروني ، فكرة الجسم في الفلسفة الوجودية ، مطبعة الحسن ، لبنان ، 2006
15-روجيه غارودي :- حوار الحضارات ، ت،ر: عادل العوا ، عويدات للنشر والطباعة ، بيروت ،1999 ، ط4،
16-زهير صاحب :- تقابل الحضارات ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 2016 ، ط1
17-زهير صاحب:- الفنون البابلية ، دار الجواهري ، بغداد ، ط1، 2011
18-عبد الرحمن البدوي :-شوبنهاور ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1983
19-فريدريك نيتشة :ارادة القوة ،ت رمحمد ناجي ،المغرب ،افريقيا الشرق،2011
20-فؤاد كامل :- الفرد في فلسفة شوبنهور ، دار المعارف ، مصر 1963.
21-فؤاد كامل: الفرد في فلسفة شوبنهاور،الهيئة المصرية ،مصر،1991
22-مأنفرد لوكر :.معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة ،ت ر صلاح الدين رمضأن ،مكتبة مدبولي للنشر ،القاهرة
23-محمد الخطيب ، الانثربولوجيا الثقافية ، دار علاء الدين ، دمشق ، ط2 ، 2008 ،
24-ناصر الشاوي، تأريخ الفن الاغريقي،وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
25-نجم حيدر :فلسفة الفن في الفكر المعاصر ،جامعة بغداد.
26-وولتر ستيس :-تاريخ الفلسفة اليونانية ، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة ، مصر ، 2012
27-ويل ديوراينت ، قصة الفلسفة ، مكتبة المعارف ، بيروت ،1988 ، ط6
28-مانفرد لوكر، معجم المعبودات والرموز في مصر ،ت ر، صلاح الدين رمضان، مكتبة مدبولي، القاهرة،
29-جيمس ب.كارلس:ت،ر:بدر الديب ، الموت والوجود ، المجلس الأعلى للثقافة ، 1998.
30-وفيق غريزي :شوبنهور وفلسفة التشاؤم،دار الفارابي ،لبنان ،2008،ط1.